الاستمتاع

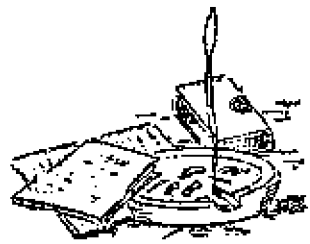

بأيام العطلة

للأستاذ مبارك ابراهيم

الاستمتاع بأيام العطلة عادة مستحدثة . وإذا نظرنا إليها من وجهة نظر العامة من الناس جاز لنا أن نسميها عادة من عادات القرن العشرين .

وقد أصبح الاستمتاع بأيام العطلة في أيامنا هذه ضرورة من الضرورات . وذلك نتيجة لما ساد الناس اليوم من قلق فكري ، وجهد ذهني ، وانهيار عصبي . ووحدة في سياق العيش تبعث الملل . وهي أمراض ترافق انتشار الصناعات . وتلازم عيش المدن . حيث لا يعرف الناس طعم الراحة والهدوء .

وقبل تقدم الصناعات هذا التقدم الجنوني . ويوم كان الناس يعملون في بيوتهم أو مصانع صغيرة . ويوم كان العمل لا يدعو إلى العجلة . ويوم كان أصحاب الدكاكين يقطنون فوق دكاكينهم . ويوم كان المصريون يعملون ويسكنون في بناء واحد . ويوم كان الفضاء رحباً . والهواء طلقاً . لم يفسره دخان المداخن . ويوم كانت الحقول والغابات قريبة المنال . غير بعيدة الشقة . يوم كانت الدنيا كما وصفنا لم يخطر ببال أحد أن يفكر في أجازة سنوية . ولم تكن بالناس حاجة إلى أوقات فراغ تزيد عن أيام الآحاد . وهن تلك الأيام التي تحددها الكنيسة كأيام للراحة والاستمتاع . ويوم كان الرجل يغزل غزله على نوله الخاص . وفي كرخه الخاص . كانت لديه فسحة من الوقت تتيح له أن يعني بحديقة منزله . ثم كان الأسكاف يعني بالكرنب الذي يزرع في حديقته عنايته بإصلاح الأحذية وترقيع النعال .

أما اليوم فقد فاض السرور من حياة عمال المصانع . فهم يعملون أعمالاً صغيرة تتكرر ألف مرة ومرة طوال ساعات العمل . وهي أعمال ميكانيكية لا تشغل عقولهم ولا خيالهم .

ولا تسمح للمنافسين منهم أن يتبعوا . ولا تتيح للباحثين أن يبتدعوا براعتهم . ذلك أن التنويع والإجادة ليستا من مستلزمات الأعمال الميكانيكية . حتى لقد أصبح العمال اليوم أجزاء من الآلات التي يستعان بها . ولا أدل على ذلك من شيوع اختراع مختلف الآلات التي تحل كل يوم محل الأيدي العاملة .

ومثل هذا العمل الآلي يسبب من التعب أكثر مما يسببه العمل الذي يحتاج إلى بذل مجهود وافر من النشاط العقلي أو الجسماني أو من كليهما معاً .

وقد أوضح ذلك والتر راتنو (١٨٦٧ — ١٩٢٢) — وكان زعيماً من زعماء الصناعة في ألمانيا — ومشيراً للاقتصاد الألماني أثناء الحرب العظمى الأولى ، في كتابه الذي سماه « المجتمع الجديد » فقال : —

لا يستطيع رجال أو نساء من الصناع الذين يقضون من يومهم ثماني ساعات . وهم يعملون عملاً آلياً لا يستطيع أولئك الرجال والنساء أن يجدوا وقتاً يقضونه في الترويح عن أنفسهم وفي تجديد قواهم . وهم كذلك ليس في قدرتهم أن يقضوا وقتاً في رياضة السير على الأقدام أو في قراءة كتاب من الكتب . وهم كذلك لا يستطيعون ملاءمة أعمالهم أو الاستمتاع بالمسرات في بيوتهم . ذلك لأنهم في حاجة إلى دافع قوي يجدد من أعصابهم ما يلي وتهدم وهم لا يجدون هذا الدافع إلا في قراءة قصة من قصص القتل كتبها صحيفة من الصحف أو في فيلم من الأفلام التي تثير المشاعر تعرضه دار من دور السينما .

وأمثال أولئك القوم في حاجة إلى فترات من الراحة أكثر من أولئك الذين يعملون أعمالاً تلذهم وتشوقهم . وتلك الفترات من الراحة يجب أن تقضي في ممارسة لون من ألوان النشاط . إذ أن طاقة النشاط المكبوت في نفوسهم — بسبب قلة مجهوداتهم يجب أن يجد لها متنفساً .

وإن الباحث المؤرخ ليجد أنه حتى قريب منتصف القرن التاسع عشر . كانت أيام العطلة Holidays هي الأيام المقدسة Holy Days أي الأيام التي كانت تقضي التقاليد أن يكون العمل فيها حراماً على العاملين . وأن يكون اللعب والراحة فيها حلالاً طيباً للاعبين . أما أيام العطلة التي تحددها فترة من الزمن قد تبلغ أسبوعاً أو أكثر . يتحلل فيها العامل من حياته اليومية . والتي يكون من مستلزماتها أن يغيب العامل عن بيته في رحلة إلى مكان بعيد . فلم يسمح بها قبل عام ١٨٠٠ إلا في « الأجازات المدرسية » .

أما تلك الكثرة الغالبة من الأغنياء القادرين . فقد كانوا بالطبع يغادرون بلادهم

طلباً لتغيير المناظر وتبديل الهواء . ومنهم من كانوا يرحلون إلى بلاد المياه المعدنية تداوياً وعلاجاً .

وكذلك يرى الباحث أنه في مستهل القرن التاسع عشر بدأ الأطباء يعرفون فوائد هواء البحر وأصبح مصيف Weymouth مصيفاً عصرياً ذلك لأن الملك جورج الثالث (١٧٣٨ — ١٨٢٠) قد كان يرتاده . وكذلك أصبح مصيف Brighton ساحب خطوة لدى المصطافين . ذلك لأن ابنه الذي أصبح فيما بعد الملك جورج الرابع (١٧٦٢ — ١٨٣٠) قد جعله مستقراً له ومقاماً .

ولكن أفراد الطبقة الوسطى من القوم لم يستطيعوا مادة ارتياد الشواطىء في الصيف أو في مستهل الخريف إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وذلك ليكسبوا وجنات أطفالهم حمرة أذابتها رهافة أهوية المدن . وليذوقوا هم طعم الراحة بعد العمل المرهق في زحمة تلك المدن . وكان برنامج المصطافين هو أن يجلسوا صباح كل يوم على الشاطىء بعد أن يستحموا ثم يقرأوا الكتب والصحف مع الأطفال .

وبعد الغداء ينامون قليلاً حتى إذا حل موعد الشاي شربوه جماعات . فإذا أقبل الليل تعشوا ثم تناموا ثم أووا إلى مضاجعهم مسرعين فإذا انقضت أيام الإجازة على هذا النحو عادوا إلى ديارهم ناعمين . ولا تزال الأسرة الفرنسية ترتاد شواطىء بحار فرنسا مستمتعة بهوائها على طريقة الإنجليز . ويزيد بعض الفرنسيين على ذلك شيئاً من الرقص وقليلاً من ألعاب القمار كالروليت والبكاراه .

ثم عرف الإنجليز بعد ذلك مصايف فرنسا وألمانيا . ثم مصيف أنتورب في بلجيكا ومصيفي « أمستردام والهاي » في هولندة . ثم بدأ الإنجليز يغزون جبال سويسرا وبحيراتها . ويصعدون جبال الألب . ويلعبون أعلى القمم . ثم يحدون النظر إلى كنائس ميلانو ثم يتنطون قوارب الجندول في مدينة البندقية . ثم يزرعون أرض متاحف الصور في فلورنسا . ثم خطوا خطوة أخرى وهي رحلات الشتاء فوجهوا وجوههم إلى الريفييرا يستمتعون بمياه البحر الصافية الزرقاء . وبالشمس المنيرة ذات الضياء . وصار من امتد بهم حبل السفر حتى وصلوا إلى مصر . ومنهم من ذهب إلى بيارتز أو سويسرا للاستمتاع بألعاب الشتاء . واليوم أصبح شيئاً عادياً أن ترى جماعات من السياح الأوربيين يسافرون إلى افريقية الجنوبية وإلى أمريكا الجنوبية . أما الأغنياء الذين أولعوا بالسفر والسياحة ، فقد أصبحوا لا يقيمون بلداً دون الطواف حول العالم .